استعمالات الضمائر المنفصلة في العربية التشادية
(دراسة وصفية)

د. خالد آدم موسى(*)

مُلخّص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة استعمالات الضمير المنفصل في العربية التشادية التي تتمحور حول المضمار الصوتي الذي تلمح فيه النبرات الصوتية، لإبراز وتوضيح أوجه التباين من خلال أساليب التكلم بين أفراد القبيلة نفسها ومع غيرها من القبائل والعشائر التشادية عند النطق بالضمائر المنفصلة.

وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث استقرأ وتتبع تطبيقات هذه الضمائر في جميع المكونات العربية التشادية. وتوصل فيه إلى نتائج، أهمها:

إن جميع ضمائر الرفع المنفصلة المستعملة في اللغة العربية التشادية تطابق الضمائر المنفصلة في اللغة العربية الفصحى في وضعيتها، فلم يكن الاختلاف شاسعاً.

إن أغلب الضمائر المنفصلة المستعملة في اللغة العربية التشادية هي ضمائر الرفع، بينما ضمائر النصب (إياك وأخواتها) فلا تستعمل في العربية التشادية.

إن أساليب النطق بالضمائر المنفصلة تتباين بين القبائل العربية التشادية حسب التركيب القبلي والموقع الجغرافي، فعلى سبيل المثال استعمال الضمير(أنا) هناك من يحذف ألفه في حالة الوصل والوقف، ومن يثبتها وصلاً ووقفاً، وهناك من يحذفها وصلاً ويثبتها وقفاً، وهذا التباين جاء وفقاً للاختلاف الموجود في مذاهب النحاة، لا سيما المذهب البصري والكوفي، ومذاهب القراء.

(*) الأمين العام لجامعة الملك فيصل بتشاد.

Abstract:

This research aims to study the uses of the separate pronoun in Chadian Arabic language that pivots around the phonemic domain in which the vocal tones hint, to highlight and clarify the differences through the methods of speaking between the members of the same tribe and with other Chadian tribes and clans when pronouncing the separate pronouns.

The researcher followed the inductive, descriptive, and analytical method, as he extrapolated and followed the applications of these pronouns in all the Chadian Arabic language components.In it, he reached conclusions, the most important of which are :

All the separate nominative pronouns used in the Chadic Arabic language the separate pronouns in Standard Arabic language in its situation, so the difference was not vast. Most of the separate pronouns used in Chadian Arabic language are nominative, while accusative pronouns are not used in Chadian Arabic language. The pronouncing separate pronouns vary among the Chadian Arab tribes according to the tribal structure and geographical location. For example, the using of pronoun (I) (Ana) There are those who delete Alif in the case of Wasl (liaison) wagf (Stop), and there are those who delete in Wasl (liaison) wagf (Stop). This difference that exists in the schools of grammarians, especially the Basri and Kufic schools of thought, and the doctrines of the reciters.

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل العلم والمعرفة، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين .

أما بعد :

فهذا بحث أفردته للبحث عن الأساليب التي تؤدى بها الضمائر المنفصلة في العربية التشادية، لما وجدت من تباين في الاستعمال، وقد عنونته: بـ(**استعمالات الضمائر المنفصلة في العربية التشادية)** "دراسة وصفية " وذلك بعد الاستقراء والتتبع الطويل لأحاديث الكثير من المواطنين انبرى لي أن هناك اختلافاً في الأداء اللفظي لهذه الضمائر، وبالتالي وددت أن أتناوله في هذا البحث.

وهو موضوع مهم جدير بالدراسة؛ حيث نتناول فيه أقوال النحاة والقراء أيضاً، وإبراز آرائهم حول بعض هذه الضمائر من اختلاف وتوافق.

مشكلة البحث:

إبراز القضايا الصوتية الكامنة في أساليب استعمالات الضمائر المنفصلة في العربية التشادية، نظراً لوجود تشابه كبير مع الضمائر المنفصلة في اللغة العربية الفصحى من حيث الاستخدام والنطق.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يعالج قضايا علمية. وأيضاً أنه يمثل إضافة جديدة للمكتبة العربية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى كشف ودراسة الجوانب الصوتية، التي تتمحور في المضمار الصوتي الذي تلمح فيه النبرات المتباينة من خلال الأحاديث بين القبائل والعشائر التشادية الناطقة بالعربية في بعض المسائل.

حدود البحث:

تنحصر حدود هذا البحث في دراسة الاختلاف الوظيفي في وضع ونطق بعض الضمائر المنفصلة في العربية التشادية .

منهج البحث:

المنهج الذي سرت عليه في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة للبحث التي وقفت عليها ما يلي:

الدراسة الأولى: دكتوراه في: اللهجة العامية العربية في دولة تشاد – لهجة انجمينا أنموذجاً، (دراسة لغوية تحليلية) لحسين محمد إشيقر، جامعة السودان المفتوحة، سنة: ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م.

الدراسة الثانية: ماجستير في: لهجة أبشة العامية، (دراسة وصفية على المستوى الصوتي) لعثمان محمد آدم، جامعة أم درمان الإسلامية، سنة: ١٩٩٧م.

هذا ما وقفت عليه من البحوث التي لها صلة بموضوع البحث.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة؛ وهي هذه، والتمهيد، وثلاث مباحث؛ فتناولت في المبحث الأول: استعمال ضمير المتكلم (أنا، نحن)، وفي الثاني: استعمال ضمير المخاطب (أنتَ وأخواتها)، وفي الثالث: استعمال ضمير الغيبة (هو وهي أخواتهما).

تمهيد:

تعريف الضمير:

الضمير: في اللغة؛ من ضَمَرَ بِالْفَتْحِ، يَضْمُر ضُموراً، وضَمُر بِالضَّمِّ؛ نحو: جَمَلٌ ضامِرٌ وَنَاقَةٌ ضامِرٌ، والضَّمْرُ مِنَ الرِّجَالِ: الضامرُ البَطْنِ، وَهُوَ الهُزال وَالضَّعْفُ"[١]. فهو " موضوع لتعيين مسماه مشعراً بتكلمه أو خطابه أو غيبته... وهو في اصطلاح البصريين يسمى بالضمير والمضمر، والكوفيون يسمونه الكناية والمكنى "[٢].

وبما أن هذا البحث قد خصص لدراسة الضمير المنفصل؛ يقتضي أن نفرد له تعريفاً؛ فالضمير المنفصل" هو الذي يصح وقوعه أول الكلام وبعد (إلا) في الاختيار"[٣].

وينقسم الضمير المنفصل، بحسب مواقع الإعراب، إلى قسمين:

الأول؛ " ما يختص بمحل الرفع، وهو: أنا، وأنت، وهو وفروعهن، ففرع أنا نحن، وفرع أنتَ: أنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتن، وفرع هو: هي، وهما، وهم وهن. **والثاني؛** وما يختص بمحل النصب،

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، مادة: (ضمر)، ٤/٤٩١.

(٢) المرادي، بدر الدين حسن بن عليّ المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م، ٢/٣٥٩.

(٣) المرجع السابق نفسه ٢/٣٥٩

وهو: إيا مردفا بما يدل على المعنى المراد نحو: إياي للمتكلم، وإياك للمخاطب، وإياه للغائب، وفروعها: إيانا، وإياكِ، وإياكما، وإياكم، وإياكن، وإياها، وإياهما، وإياهم، وإياهن"[1].

هذه هي الضمائر المنفصلة بنوعيها؛ أعني أن القسم الأول المذكور في هذا التعريف، هو دائماً يكون محله الرفع، والثاني دائماً في محل نصب.

وبعد هذا تجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية في تشاد ممتدة الجذور والمنبع الأصيل لهذا الشعب الذي يقطن هذا الوطن، فهي وعاء لهويتنا، وهي الموحدة لأمتنا التشادية رغم تعددنا الإثني، فاللغة هي الجامعة لشتاتنا، والمحافظة لتراثنا، وهي قبل كل شيء لغة دستور الأمة الإسلامية، وهو القرآن الكريم، فالمحافظة عليها واجب من واجبات هذا الشعب، فهي سند لشخصيتنا وقوميتنا، فقوتها قوتنا وضعفها ضعف لنا، لأننا ندرك عبر التاريخ الإسلامي أنه عندما كانت اللغة العربية قوية في العصور الأولى، كانت الأمة العربية قوية بقوتها، وعندما وهنت معها الأمة العربية، إذن فهي تراثنا الحقيقي الأصيل الذي يقتضي منا أن نحافظ عليه ونحاول تطويره بكل ما نملك.

ولعلنا ندرك أهمية اللغة في محافظة الإنسان على هويته واستمرار تاريخه، أو طمسهما وقطع علاقته بهم، وإذا نظرنا إلى واقع الإنسانية اليوم ومن ذلك مثلا: إن الشعب الأمريكي شعب مكون من جنسيات مختلفة ومتباينة، لكنه انصهر في قالب واحد هو اللغة الإنجليزية ، فأصبح الأمريكي يعتز بهويته وجنسيته ولغته. هذا يعني أن اللغة عامل مهم في توحيد أفراد المجتمع، وهي التي تحمل هويته.

(١) ابن هشام، عبد الله أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١/ ١٠٥.

المبحث الأول:
استعمال ضمير المتكلم (أنا، نحن)

أولاً: الضمير (أنا):

وهو ضمير المتكلم المنفصل (أنا): للمذكر والمؤنث المفرد، نحو: أنا عرفتُ واجبى[١].

وينطق هذا الضمير في العربية التشادية كما هو في العربية الفصيحة. ولكننا نلمس من خلال التتبع والممارسة أن الاختلاف قد يطرأ على الكلمة في كيفية الأداء؛ حيث نجد بعضهم ينطقه بكامل حروفه، أعني (الهمزة والنون والألف) في حالتي الوصل والوقف، مثلا: يقولون: أنا فعلت: فهؤلاء يثبتون الألف في الوصل والوقف، فجاء أسلوبهم موافقاً لما ذهب إليه علماء مدرسة الكوفة النحوية، وذلك لأنهم يجعلون الألف التي في ضمير المتكلم أنا، من تمام الكلمة، وليست زائدة، وعليه تتكون الكلمة عندهم من ثلاثة أحرف أصلية؛ هي: الهمزة والنون والألف مثبتة وصلاً ووقفاً"[٢]، واحتج الكوفيون لذلك بقول الشاعر:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني * حميد قد تذريت السناما[٣]

الشاهد فيه: (أنا سيف)، ووجه الاستشهاد: أن الشاعر أثبت الألف في حال الوصل. واستشهدوا أيضاً بقراءة نافع، في قوله تعالى (أنا أحيي وأميت)- سيأتي بيانها- قالوا: إثباتها في الوصل دليل على ما قلناه "[٤]. وهذا الأداء جاء أيضاً وفقاً لقراءة بعض القراء حيث قرأ نافع، بإثباتها وصلاً ووقفاً إذا وقع بعدها همزة مضمومة[٥] نحو قوله تعالى: ﭼ ﭽ ﮁ ﮂ ﭼ[١]، أو

---

(١) الاسترابازي، رضي الدين، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ٢/ ٩-، والنحو الوافي لعباس حسن ١/ ٢١٧

(٢) الاسترابازي، شرح الرضي ، / ٩- ١٠، الأزهري، الشيخ خالد، شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوقيفية، ٣١٩/١.، وابن يعيش، موفق الدين علي ابن يعيش النحوي، شرح المفصل، تحقيق: أحمد السيد أحمد ، دار العلوم جامعة القاهرة، ١/ ٩٧. ، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط٣: ٢٠٠٦، بيروت- لبنان، ٢/ ٢٠١.

(٣) البيت من الوافر، وهو لحميد بن ثور، في خزانة الأدب للبغدادي، ٢٤٢/٥.

(٤) شرح ابن يعيش ٣/ ٣٣.

(٥) البذور الزاهرة، ص: ١٠٩، وابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ١/ ١٤٢، والشيرازي للإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله ، المعروف بابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ١/ ٣٣٨

مفتوحة[٢] نحو قوله تعالى، چ چ چ چ [٣]، أما إذا جاء بعدها همزة قطع مكسورة نحو قوله تعالى: (إن أنا إلا نذير)[٤] فيكون فيها وجهان: الحذف والإثبات؛ لأن الهمزة بعد الألف أبين، وامتناعه عنها بعد كسر الهمزة لاستثقال الكسرة فيها بعد الألف والفتحة[٥].

وبالتالي فإن الأساليب التي تتحدث بها بعض القبائل العربية التشادية في نطقها للضمير (أنا) بكامل حروفه الثلاثة في الوصل والوقف معاً جاءت على النمط الذي أثبته علماء الكوفة – كما بينتُ.

وأشير إلى ما توصلت إليه بعد التتبع والاستقراء بأن جل القبائل العربية التشادية التي تثبتها وصلاً ووقفاً هي بعض العشائر من قبيلة أولاد راشد، لاسيما الذين ينحدرون من منطقة البطحاء بصفة عامة؛ وهي قبيلة عربية كبيرة مشهورة ومترامية الأطراف في كل ربوع البلاد، حيث تضم الكثير من العشائر الصغيرة. ومن الذين يثبتونها وصلاً ووقفاً؛ غالبية القبائل العربية التي تقطن في القرى التي تقرب من العاصمة انجمينا، وهي منها على سبيل المثال لا الحصر: السلامات، والحَمّادية، وبني سيد، والعسلة، والأصالعة، والعبيسية، فهذه القبائل تشترك في نطق كثير من الألفاظ من حيث المفردات والنبرات، لِما بينهما من تداخل وتمازج؛ فيثبتونها في الوصل والوقف.

فهؤلاء من العرب التشاديين يتكلمون بضمير المتكلم المفرد (أنا) على طريق قراءة نافع – كما ذكرت– أي بإثبات الألف إذا كان قبل همزة مفتوحة أو مضمومة دون المكسورة. وهناك: بنو تميم يثبتون الألف في الوصل أيضاً في السعة "[٦]

أما غير المذكورين من باقي القبائل العربية التشادية فيحذفون ألف الضمير (أنا) في الوصل؛ لاسيما الذين يتواجدون في شرق البلاد ووسطها كالمحاميد والماهرية والسلامات والحيماد والمسيرية وأولاد راشد وغيرهم.

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) البذور الزاهرة، ض: ١٠٩

(٣) النمل: ٣٩

(٤) الأعراف ١٨٨

(٥) الكتاب الموضح ١/ ٣٣٩

(٦) الأزهري، شرح التصريح ٣١٩/١. و– ابن يعيش ١/

فيكون الاسم عندهم مكون من: الهمزة والنون فقط، فأما الألف التي بعد النون، فإنما ألحقت حالة الوقف ليوقف عليها، وهذا الاستعمال جاء موافقاً لمذهب نحاة البصرة؛ الذين يذهبون إلى أن: الضمير (أنا) يتكون من: همزة ونون مفتوحة، والألف يؤتى بها بعد النون في حالة الوقف لبيان الفتح؛ لأنه لولا الألف لسقطت الفتحة للوقف، فكان يلتبس ب (أن) الحرفية، لسكون النون، فلذلك يكتب بالألف"[١]. وهذا هو مذهب الجمهور من القراء –خلافاً لنافع– حيث يحذفونها وصلاً ويثبتونها وقفاً"[٢]. فالباقون غير نافع يحذفون الألف في الوصل. وكل القراء يثبتونها في الوقف[٣].

أعني اتفاق الكل على إثباتها وقفاً، أي فلا خلاف في إثبات الألف، إنما الخلاف يجري في حالة الوصل كما رأيناه.

فالمستنبط مما سبق؛ أن مكونات المجتمع العربي التشادي تتباين في النطق الصوتي تبعاً للمواقع الجغرافية لبعض القبائل حسب المنطقة التي يتواجدون بها، فيحصل تأثير وتأثر. ولذلك نتج الخلاف الصوتي في طريقة نطق ضمير المتكلم (أنا)؛ فمنهم من يثبت الألف وصلاً ووقفاً، ومنهم من يحذفها وصلاً. وهذا الاختلاف لم يكن بدعاً منهم، بل هو امتداد متجذر حول هذا الضمير؛ تناوله علماء النحو القدماء؛ حيث ذهب الكوفيون إلى أن هذه الكلمة تتكون من ثلاثة أحرف أصلية؛ هي: الهمزة والنون والألف مثبتة وصلاً ووقفاً. وأيضاً وفقاً لقراءة نافع الذي أجرى الوصل مُجرى الوقف في هذا، أعني بإثبات الألف من (أنا) في الوصل.

وأما الذين يحذفون الألف فأسلوب نطقهم جاء موافقاً لمنهج علماء النحو البصريين الذين ذهبوا إلى أن هذه الكلمة تتكون– كما ذكرت– من حرفين أصليين هما: الهمزة والنون، وأما الألف فزائدة. ووفقاً لقراءة الجمهور من القراء من أنهم يحذفون الألف في الوصل خاصة، أما إثباتها في الوقف، فلا تباين فيه في العربية التشادية. فكلهم يثبتها وقفاً، كما هو شأن جميع القراء.

---

(١) الاسترابازي، شرح الرضي ١/ ٩، و الأزهري، شرح التصريح، ٣١٩/١، وابن يعيش، شرح المفصل، ١/ ٩٧. والسيوطي، همع الهوامع، ط٣: ٢٠٠٦، بيروت– لبنان، ٢/ ٢٠١.

(٢) ابن الجزري، أبو الخير بن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٣١، والداني، عثمان بن عمر أبوعمرو الداني، التيسير في القراءات السبعة ١/ ٨٢، وغاية الاختصار ٢/ ٤٣٥.

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ١/ ٩٩.، وابن الجزري، النشر ٢/ ٢٣١.

ثانياً: الضمير (نحن)

وهو ضَميرٌ يُعْنَى به الاثْنانِ والجمْعُ المُخْبِرُونَ عن أَنْفُسِهِمْ، مَبْنِيٌّ على الضَمِّ "[١] . وذلك لأَن نَحْنُ تَدُلُّ عَلَى الْجَمَاعَةِ وجماعةُ الْمُضْمَرَيْنِ تَدُلُّ عَلَيْهِمُ الْمِيمُ أَو الْوَاوُ نَحْوَ فَعَلُوا وأَنتم، وَالْوَاوُ مِنْ جِنْسِ الضَّمَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ حَرَكَةِ نَحْنُ فحرّكت بِالضَّمِّ لأَن الضَّمَّ مِنَ الْوَاوِ"[٢].

فـ(نحن) ضمير رفع منفصل؛ يتركب من ثلاثة أحرف أصلية في اللغة العربية الفصيحة.

مكوناته الصوتية:

يتركب هذا الاسم من ثلاثة أحرف أصلية في اللغة العربية الفصيحة، وهي: حرف النون المفتوحة، وحرف الحاء الساكنة، وحرف النون المضمومة. وذلك بدليل وروده في كل مصادر اللغة العربية (القرآن الكريم، السنة النبوية، الشعر العربي)، فمن ما جاء في القرآن الكريم، كقوله تعالى چ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ چ[٣]، فهذا على سبيل المثال، لا الحصر؛ لأن هذا كثير في القرآن. ومثال ما جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: << بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟...إلخ >>[٤].

ومن الشعر قول عنترة بن الشداد:

إذا نحن خالفنا شفارَ البواترِ * وسمر القنا فوق الجياد الضوامرِ

فالشاهد في هذه النصوص هو ضمير المتكلمين: (نحن)، حيث جاء بصيغة موحدة، وهذا في كل النصوص، إذ ليس فيه حرف زائد. أما في العربية التشادية، فيستعمل بطرائق متباينة، حيث ينطق لدى بعض القبائل بأنماط فيها تحريف شكلي أو جوهري لأجزاء حروفه، حسب المواقع الجغرافية، وتبعاً لعوامل التأثير والتأثر.

فنجد في الشرق والشمال الشرقي والوسط أن الغالب فيهم ينطقه بطريقة تختلف عن النطق الفصيح؛ لا في أصل حروفها، وإنما من الناحية الشكلية، فيكسرون النون الأولى بدل الفتحة (نَحن) ويفتحون النون الأخيرة، فيقولون: (نِحْنَ)، أما الحاء فيجرونه كما هو، فلا يحصل فيه تحريف. وأحياناً يضيفون لها همزة مفتوحة في بداية النطق، فيقولون: (أنِحْنَ). لكن الملاحظ

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٣/ ٤٢٧ ، والقاموس المحيط ١/ ١٢٣٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١٣/ ٤٢٧.

(٣) الآية: ١٥١ سورة الأنعام.

(٤) الحديث في البخاري، رقمه: ٦٣، ص:١/ ٢٣.

أن النمط الأول – النطق بدون همزة – هو الأكثر استعمالاً لديهم من المبدوء بها. أما عند غالبية القبائل العربية التي تقطن الغرب، فنرى التغيير بشكل جوهري، حيث يقلبون الحاء ياءً ممدودة، وتبدَل فتحة النون الأولى كسرة، وتبدل ضمة النون الأخيرة فتحة، فيقولون: (نِينَ)، وأحياناً يضيفون همزة مفتوحة في البدء، فيقولون: (أَنِينَ) فيحصل عندهم .

المبحث الثاني:
استعمال ضمير المخاطب (أنت وأخواتها)

من ضمائر الرفع المنفصلة؛ ضمير المخاطب (أنت وأخواتها)؛ وهي أربعة فروع أنتِ بالكسرة، وأنتما، وأنتم، وأنتنّ ".[١]

أما أنتَ بالفتح؛ فللمخاطب المفرد المذكر، وأنتِ بالكسر؛ للمؤنث. واستعمال هذا الضمير في العربية التشادية يكاد يكون بطريقة موحدة. فبفضل المعايشة والاستقراء والممارسة؛ قد اتضح أن الغالب في أساليبهم؛ أنهم يحذفون النون الساكنة بعد الهمزة، ويقلبون حركة همزته من الفتحة إلى الكسرة (إبدال الفتحة كسرة)، فتصير الكلمة من: (أَنتَ أو أَنتِ) إلى (**إتَّ أو إتِّي**) بفتح التاء للمذكر، وبكسرها للمؤنث، فقليل ما يثبت النون الساكنة .

وهذا النوع من الإبدال ينطبق على جمع الخاطبين(الذكور والإناث). فيحصل تغيير في الحركات، فنجد في جمع الذكور المخاطبون؛ تُضم التاء وتحذف ميم الجمع، ويؤتى بواو بدلها، فيُنطق: (**إتُّو**)، حيث يتحول من الفصيح (**أنتم**) إلى (إتُّو).

أما في جمع المخاطبات المؤنثات؛ فيحصل أيضاً تغيير في الحركات، حيث تقلب حركة التاء إلى فتحة مشددة، وتُخفف حركة نون الإناث المفتوحة الثقيلة بالسكون المخفف، فينطق: (إتَّنْ)، وعليه يتحول ضمير جمع الإناث من (أنتُنَّ) إلى (إتَنْ). وهذا الاستعمال هو مختلف عن التركيب الفصيح الذي جاء في نصوص القرآن الكريم والسنة وكلام العرب الذين يحتج بكلامهم (المنظوم والمنثور، فمن ذلك قوله تعالى: چڈ ڈ ژ ژ ڑ چ"[٢]، ومن السنة: << جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصِبِ المَاءَ، فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ>>[٣] . ومن الشعر قول الأعشى:

فقالت دع الفحشاء إني غريبة * وأنت أتيت الآن لم يعلم الخال"[٤]

الشاهد في هذه النصوص هو الضمير:(أنت) حيث ورد فيها بهذه الصيغة. فالتغيير الذي في شكل الكلمة وبنيتها في العربية التشادية.

وأنبه بأنه لم يستعمل ضمير المخاطب المثنى (أنتما) في العربية التشادية.

---

(١) الاسترابازي، شرح الرضي ٢/ ١٠. والمرادي، توضيح المقاصد ١/ ٣٦٥

(٢) الآية ٣٢ من سورة البقرة

(٣) الحديث في البخاري، رقم: ٣٣٧.

(٤) البيت في ديوان الأعشى.

وأشير بأن النحويين أنفسهم قد اختلفوا في أصل حروف هذا الضمير (أنت) وأخواتها كأنتِ بالكسرة، وأنتما، وأنتم، وأنتنّ. فذهبوا إلى ثلاثة أقوال، تطرق لها كثير من العلماء؛ قال الرضي مفصلا ذلك: " وأما أنت إلى أنتنّ فالضمير عند البصريين (أنْ) ... ومذهب الفراء أن (أنت) بكماله اسم، والتاء من نفس الكلمة، وقال بعضهم أن الضمير المرفوع هو التاء المتصرفة، فكانت مرفوعة متصلة، فلما أرادوا انفصالها دعموها بـ(أن) لتستقل لفظاً كما هو مذهب بعض الكوفيين وابن كيسان[١] "[٢].

فمذهب البصريين يرى أن الضمير في (أنت) وأخواتها؛ " إنما هو الهمزة والنون، والألفاظ المتصلة بها حروف تدل على المراد بالضمير"[٣]. فالضمير المخاطب عندهم هو (أن) فقط، أي" الاسم منه الهمزة والنون، وباقي الحروف زائدة"[٤].

أما الكوفيون فذهبوا إلى مذهبين حول هذه المسألة؛ الأول انفرد به الفراء؛ حيث ذهب إلى أن التاء هي من نفس الكلمة، والكلمة بكمالها اسم عملا بالظاه"[٥]، أي أن ضمير الخطاب عند الفراء هو مجموع (أن) و(التاء)، يعني أن أصل الكلمة لديه جميع الحروف الثلاثة: الهمز والنون والتاء.

وقد ذهب بعض الكوفيين وابن كيسان– كما سبق– إلى أن (التاء) المتصرفة وحدها هو الضمير، وهي مرفوعة متصلة، فلما أرادوا انفصالها دعموها بـ(أن) لتستقل لفظاً لتصير منفصلة"[٦].

فيبدوا جلياً من هذه النصوص؛ أن الأصل في ضمير المخاطب (أنت وأخواتها) عند علماء البصرة قاطبة يتكون من حرفين فقط؛ هما: الهمزة والنون، أما التاء وما بعدها فهي حروفاً

---

(١) ابن كيسان: (هو محمد بن أحمد بن كيسان، وكيسان لقب واسمه "إبراهيم"؛ نحوي لغوي ، كان يحفظ المذهب الكوفي والبصري في النحو؛ لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، من مصنفاته: المهذب في النحو، وغريب الحديث، والقرآت) ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ١٧/ ١٣٧- ١٤١.

(٢) الاستراباذي، شرح الرضي ٢/ ١٠ .

(٣) الأشموني، شرح الأشموني ١/ ١٩٥، والدماميني، المنهل الصافي في شرح الوافي للدماميني، ٢/ ٦٩.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل ٣/ ٣٥.

(٥) السيوطي، همع الهوامع ١/ ٢٠١، والدماميني، المنهل الصافي ٢/ ٦٩.

(٦) الأندلسي، ارتشاف الضرب لأبي حيان ١/ ٤٧٣ .

زائدة تفيد المراد بالضمير. وعند الفراء من الكوفيين هو: جميع الحروف الثلاثة؛ الهمزة والواو والتاء. وعند جمهور الكوفيين وابن كيسان: التاء فقط، وهي تاء فعلتَ.

وتجعل الدراسة إلى أن الأولى والأرجح من هذه المذاهب هو ما ذهب إليه الفراء؛ من أن الكلمة بكمالها هي الضمير؛ عملاً بالظاهر، وتسهيلاً للدارسين، وخاصة المبتدئين منهم.

المبحث الثالث:
استعمال ضمير الغيبة (هو وأخواتها)

من ضمائر الرفع المنفصلة، ضمير الغائب، وهو: خمسة أنواع هي: هو، هي، هما، هم، هنّ.

وتستعمل بهذه الصيغ في جميع مصادر اللغة العربية الفصحى، من القرآن والسنة وكلام العرب المنظوم وغيره. إلا الضميرين (هو وهي) فقد جرى اختلاف بين علماء النحو حول وضعية حروفهما. وسأوضح ذلك الخلاف.

أما استعمال هذه الضمائر في العربية التشادية فيكون كالآتي:

الضميران **(هو وهي)**: هذان الضميران هما للغائب المفرد والمفردة، ويستعملان في العربية التشادية بالوضعية نفسها التي وردت في الفصيحة، إلا بعض الفوارق الصوتية التي قد تظهر في بعض الحركات.

فينطق ضمير الغائب المفرد في العربية التشادية بضم الهاء وسكون الواو، ومثله المفرد المؤنث، فيقولون: (هُو وهِي) بغير تحريك الواو والياء، وذلك في الوصل والوقف، وهذا بخلاف ما ورد في نصوص العربية الفصيحة؛ لأن الأصل فيها تحريكهما.

وكما ذكرت أن علماء النحو اختلفوا في وضعية حروفهما، " فالواو، والياء في هو وهي عند البصريين من أصل الكلمة، وعند الكوفيين للإشباع والضمير هو الهاء وحدها، بدليل التثنية والجمع فإنك تحذفهما فيهما"(١).

فالبصريون يذهبون إلى أن الهاء والواو من الضمير (هو)، والهاء والياء من الضمير (هي)؛ هما الاسم بمجموعهما، يعني أن الهاء والواو هما أصلان في الاسم (هو)، والهاء والياء أيضاً أصلان في الاسم (هي).

واحتج البصريون على أن الضمير هو وهي بجملتيهما، قالوا: " أن الضمير المنفصل لا يجوز أن يُبْنَ على حرف واحد؛ لأنه لا بد من الابتداء بحرف الوقف على حرف، فلو كان الاسم هو الهاء وحدها لكان يؤدي إلى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً؛ وذلك محال، فوجب أن لا تكون الهاء وحدها هي الاسم"(٢).

---

(١) الاستراباذي، شرح الرضي/ ١٠، والأزهري، شرح التصريح ٢/ ٢٠٥، وابن يعيش، شرح المفصل ٣/ ٣٦، والسيوطي، الهمع ١/ ٢٠٢.

(٢) الأنباري، الإنصاف ٢/ ٥٥٩. والأشموني، شرح الأ شموني ١/ ١٩٥، وابن يعيش، شرح المفصل ٣/ ٣١.

أما الكوفيون فاستدلوا على أن الاسم هو الهاء وحدها دون الواو والياء؛ لأن الواو والياء تحذفان في التثنية، نحو (هما) ولو كانتا أصلًا لما حذفتا"[١]. وقالوا أيضاً الذي يدل على ذلك أنهما تحذفان في حالة الإفراد أيضا وتبقى الهاء وحدها، ورد في كلام بعض شعرائهم، من ذلك قول الشاعر، وهو العُجَير السَّلُولِي:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائل: * لمن جَمَلٌ رِخْوُ المِلَاطِ نَجِيبُ[٢]

فقوله: (بيناه) ؛ أصله بينا هو؛ فاستدل به هنا على أن الضمير في هو وهي؛ إنما هو الهاء وحدها، أما الواو والياء زائدتان . وقول الآخر:

إِذَاهُ سِيمَ الخَسْفَ آلَى بِقَسَمْ * بالله لا يأخذ إلا ما احْتَكَمْ[٣]

محل الاستشهاد بالبيت قوله: (إذاه)؛ فإنه أراد أن يقول (إذا هو) فلما لم يتيسر له ذلك حذف الواو.

دارٌ لِسُعْدَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَا * هل تعرف الدار على تبراكا[٤]

ومحل الاستشهاد قوله (إذه) حيث استدل به الكوفيون على مجيء الهاء وحدها؛ لأن الشاعر أراد (إذ هي) فحذف الياء؛ فدل على أن الاسم هو الهاء وحدها، وإنما زادوا الواو والياء تكثيرًا للاسم، كراهية أن يبقى الاسم على حرف واحد.

فعلماء الكوفة يستدلون بهذه الشواهد ونحوها على أن أصل (هو وهي): الهاء وحدها، بينما البصريون يعدون ذلك الذي فعله الشعراء في هذه الأبيات ضرورة من ضرورات الشعر، والضرورات لا يستدل بها على أحكام العربية، ولا تبنى عليها قواعد تجعل أسسًا للكلام.

وأرى أن ما ذهب إليه الكوفيون– والله أعلم– هو الراجح في هذه المسألة من أن أصل (هو وهي) الهاء وحدها دليل على حذفها في الشواهد المذكورة وغيرها، وذلك لأن من " المعروف

---

(١) الأشموني، شرح الأ شموني ١/ ١٩٥، وابن يعيشن ٣/ ٣١، والإنصاف ٢/ ٥٥٩.

(٢) البيت من البسيط ، وفي سيبويه، الكتاب ١/ ٢١، والسيوطي، الهمع ١/ ٢٠٣.، والأزهري، شرح التصريح ١/ ٣٢٠، والأ شموني ١/ ١٩٥، وابن يعيش، ٣/ ٣١، والإنصاف ٢/ ٥٥٩.

(٣) هذا البيت من مشطور الرجز، وقد أنشده ابن منظور عن الكسائي "٢٠/ ٣٦٦" ولم أقف على قائله.

(٤) هو من شواهد سيبويه ١/ ٩، والبغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ١/ ٢٧٧ و٢/ ٣٩٩، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، وابن يعيش، شرح المفصل ،ص:٤١٧، وابن جني في الخصائص ٨٩.

أن سقوط الحرف من الكلمة دليل على أنه زائد "[1]، وهذا المذهب قبله السيوطي بقوله: " وهذا المذهب هو المختار عندي"[2].

أما ضمير المثنى الغائب (هما) غير مستعمل في اللغة العربية التشادية، بل يستعمل استعمال الجمع (هم) – المذكر والمؤنث– فلا يفرد له ضمير خاص به.

وأما استعمال ضمير جمع الغائبين، فيكون كالآتي:

تختلف أساليب استعمال ضمير جمع الذكور الغائبين في العربية التشادية عن الوضعية المستعملة في العربية الفصيحة في تشكيل بعض الحركات، بحيث ينطق في العربية التشادية بضم الهاء وتحريك الميم مع التشديد، فيقولون(هُمَّ) وهذا لدى جميع القبائل العربية التشادية، وصلاً ووقفاً، بينما نرى في نصوص العربية الفصيحة ينطق هذا الضمير بسكون الميم بدون خلاف.

وأما استعمال ضمير جمع الإناث الغائبات في العربية التشادية، فيكون بكسر حركة الهاء، وفتح نون النسوة مع التشديد، فيقولون: (**هِنَّ**)، وعليه فالخلاف في حركة الهاء التي هي الضمة (هُنَّ).

أما الضمير المنفصل المنصوب (**إياك وأخواتها**)، فلم تستعمل في العربية التشادية.

هذه هي أوجه التباين في أساليب استعمال الضمائر المنفصلة في اللغة العربية التشادية والعربية الفصيحة الموجودة في مواردها الأصلية كالقرآن والحديث الشريف وكلام العرب المنظوم وغيره، حيث يكمن في بعض حركات الحروف الضمائر المنفصلة.

فالذي اتضح من هذه الدراسة التي انتقيتها بعد الاستقراء والتتبع للسان العربي التشادي؛ أنه لم يوجد فرق كبير في أساليب الاستعمال، لاسيما في أداء الضمائر المنفصلة، فهناك تشابه كبير.

(١) الأنباري، الإنصاف ٢/ ٥٥٩

(٢) السيوطي، همع الهوامع ٢٠٣/١.

الخاتمة:

بحمد الله وتوفيقه، فقد اكتمل البحث، وتوصل الباحث فيه إلى النتائج التالية:

١- إن دراسة الكوامن اللغوية ومعرفة فروقات الألفاظ داخل المجتمع، كالمجتمع التشادي المتعدد القبائل والعشائر- التي تتحدث العربية أصالة – مفيدة وضرورية، لاسيما الضمائر؛ لأنه لا يخلو منها كلام.

٢- إن الغرض من وضع الضمير هو تعيين مسماه؛ حيث يكون مشعراً بتكلمه أو خطابه أو غيبته، ويسمى في اصطلاح البصريين بالضمير والمضمر، وفي اصطلاح الكوفيين سمى بالكناية والمكنى.

٣- إن جميع ضمائر الرفع المنفصلة المستعملة في اللغة العربية التشادية تطابق الضمائر المنفصلة في اللغة العربية الفصيحة في وضعيتها، فلم يكن الاختلاف شاسع بقدر ما هو موجود في بعض اللهجات.

٤- إن أغلب الضمائر المنفصلة المستعملة في اللغة العربية التشادية هي الضمائر التي يكون محلها الرفع، بينما الضمائر التي يكون محلها النصب (إياك وأخواتها) فلا تستعمل في العربية التشادية. ويستثنى من ضمائر الرفع أي الغير مستعمل هو ضمير التثنية: (أنتما) للمخاطبَيْن، و(هما) للغائبَيْن.

٥- إن الأساليب التي تتحدث بها بعض القبائل العربية التشادية في نطقها للضمير (أنا) يكون بكامل حروفه الثلاثة في الوصل والوقف معاً، فجاء الأسلوب موافقاً لما ذهب إليه علماء مدرسة الكوفة النحوية، وذلك لأنهم يجعلون الألف التي في ضمير المتكلم (أنا)، من تمام الكلمة، وليست زائدة.

٦- هناك من القبائل العربية التشادية من يحذف ألف الضمير (أنا) في الوصل، فعندهم مكون من: الهمزة والنون فقط ، فأما الألف التي بعد النون، فإنما ألحقت حالة الوقف ليوقف عليها، وهذا الاستعمال جاء موافقاً لمذهب نحاة البصرة، وهو أيضاً مذهب الجمهور من القراء –خلافاً لنافع- حيث يحذفونها وصلاً ويثبتونها وقفاً، أما نافع فقرأ بإثباتها وصلاً ووقفاً، وكل القراء يثبتونها في الوقف.

٧- يوجد اختلاف في نطق ضمير المتكلمين (نحن)، لكنه اختلاف شكلي، حيث يكسرون النون الأولى بدل الفتحة (نَحن) ويفتحون النون الأخيرة، فيقولون: (نِحْنَ)، أما الحاء

فيجرونه كما هو، فلا يحصل فيه تحريف. وأحياناً يضيفون لها همزة مفتوحة في بداية النطق، فيقولون: (أنِحْنَ).

٨- في العربية التشادية تحذف النون الساكنة بعد الهمزة في (أَنتَ أو أَنتِ) وتقلب حركة همزته من الفتحة إلى الكسرة (إبدال الفتحة كسرة)، فتصير الكلمة من: (أَنتَ أو أَنتِ) إلى **(إتَّ أو إتّي)** بفتح التاء للمذكر، وبكسرها للمؤنث، و**(أنتم)** ينطق: (إتُّو)، و(أنتُنّ) ينطق: (إتَّنْ).

٩- ينطق ضمير الغائب المفرد أو المفردة في العربية التشادية بضم الهاء وسكون الواو والياء، فيقولون: (هُو وهِي) بغير تحريك الواو والياء، وصلاً ووقفاً.

التوصيات:

يوصي الباحثين والدارسين بإجراء بحوث في اللغات الوطنية، لاسيما العربية العامية، لاكتشاف أوجه التشابه والترابط باللغة العربية الفصحى.